

جيل الألفية يسدل الستار على العزوبية الكئيبة

شبان يتخلون عن الصورة النمطية للعنوسة ويعتبرونها مصدرا للسعادة والحرية

تزداد أعداد العزّاب من الجنسين في المجتمعات العربية، وهو ما تظهره الإحصائيات الرسمية. بعضهم اختار حياة العزوبية وآخرون فرضت عليهم. اليوم، يؤكد عزاب وعازبات عبر صفحاتهم في مواقع التواصل الاجتماعي أنهم سعداء ويستمتعون بحياتهم بعيدا عن قداسة الحياة الزوجية. لكن، يقر هؤلاء أن عليهم مواجهة الضغوط الاجتماعية والعائلية القوية والتي لا تتوقف عن إقناعهم بضرورة الارتباط.

سهام بن عبادة
صحافية تونسية



تونس - يلاحظ المتابعون للشبان

الاجتماعي والأسري أن نظرة الشبان والفتيات للعزوبية اليوم مختلفة عنها قبل سنوات و عقود، وكثيرا ما يقرأ رواد مواقع التواصل الاجتماعي تنوينات للكثير من الشبان والفتيات الذين لا يرون في العزوبية مصدرا للازعاج ولاكتئاب، وينشرون كتابات وصورا يحتفون فيها بنسبايهم ويعزوبيتهم وينحرحهم من القيود التي تفرضها مؤسسة الزواج.

العزوبية تاج

بعض المجموعات على صفحات الفيسبوك مثلا تأسست تحت أسماء حلوة أيام العزوبية، أو العزوبية كنز لا يفنى، أو لا تونسية لا اجنبية تحيا العزوبية، ويتداول الكثير من الفتيات والشبان من الدول العربية منشورات من قبيل "الحياة بها الزواج استغلوا العزوبية كما يجب"، أو "العزوبية تاج لا يراه إلا المترؤجون"، أو "نحن المتأخرون في الزواج أحرار طلقاء، سادة فوق الأرض وتحت الشمس، لا مشاكل، لا قيود، لا مطالب، لا أين ذهبت، ما أجمل الحرية". وتجذ هذه المنشريات اليوم رواجاً واسعاً في أوساط الشبان، بجانب من ينشرون صورهم من الجنسين وخاصة الفتيات متبرجات أنيقات مقلات "هكذا أنا سعيدة في بيت أهلي".

الكثير من الفتيات والشبان اليوم يعبرون بطريقة أو بأخرى عن أنهم سعداء بحياتهم كعزاب، ويعترضون على كلمة عوانس، معتبرين أن الحياة من دون زواج لا تعني الكآبة والحزن في انتظار فارس الأحلام أو سنديريلا. ويفرضون مقولات وتعليقات الشفقة مثل العانس المسكينة، أو تنتظر المكتب، أم بقي من دون زواج، مسكين يعيش وحيدا...

ويرد الشبان عند مواجهة انتقادات محيطهم العائلي لعزوبيتهم وعند محاولة إقناعهم بالارتباط وتأسيس عائلة "المأذ، أنا سعيد بحياتي هذا، لماذا أرتبط واتحمل مسؤوليات قد أصبح عن الإيفاء بها، لماذا أقيد حريتي وأصبح مطالباً بالخروج والدخول ومقابلة الأصدقاء في وقت محدد". الكثير من الشباب التونسيين يرون هذا اليوم حتى عندما يواجهون الرد لوالديهم اللذين يلحون عليهم لكي يتزوجوا.

ولم تعد تجد غالبية الفتيات بدورهن حرجا في القول بأنهن عازبات ولو كن في سن متقدمة، وتفرضن لقب العانس بل إن كثيرات منهن تفتخرن بتحررهن من مشكلات الزواج والأبناء. وتقول أحلام (36 سنة) "لا أتحسر لأنني لم أتزوج بل أرى أن وضعي أفضل كثيرا من صديقاتي أو أخواتي اللاتي تزوجن، عندما أراقب مشكلاتهن مع أزواجهن وحجم المسؤولية والأبناء والضغوط التي يعاني منها أقول في قرارة نفسي إن وضعي أفضل منهن، وإنني إن تزوجت ربما ما كنت لأحلم ما يتحملنه أو ربما ما كنت لأقبل أن اعطي حيزا هاما من حياتي للزوج والأبناء".

وتضيف أحلام لـ"العرب"، "بصراحة أنا أستمع بحياتي الآن وليس لدي أدنى انزعاج من أنني لم أتزوج بعد، واعتدت على كلام الناس والعائلة ولم يعد يؤثر في، بل لا يقنعني قولهم إن أفضل شيء في الحياة هو الزواج أو الأمومة. أنا أستمع بحياتي وحريتي وبالخروج مع الأصدقاء والصديقات وأستغل وقتي كله لنفسي ولا أشعر بالوحدة لأنني لست انطوائية ولا أعيش في عزلة عن الآخرين".

وتخلص أحلام إلى أن "الزواج ليس ضرورة حياتية، بل تستمر الحياة دونه ويمكن أن نستمتع بها مثل غيرنا وأحيانا أكثر من المترؤجين". وتؤكد بحوث علمية أن العزاب اليوم يستمتعون بحياتهم وأن فكرة أن الزواج أساسي في الحياة وأن العزاب

من الجنسين يكون حظوظهم العائرة في الحصول على شريك حياة في طريقها إلى التغيير، بل باتت فكرة قديمة تجاوزها العصر كما أن بعض العزّاب والعازبات لا يترددون في تعداد فوائد العزوبية، حتى وإن لم تكن بقرار منهم. انتهت صورة الأعراب الحزين أو العانس غير المحظوظة وحلت محلها صورة الأعراب السعيد بحياته بمفرده وفكرة أن العزوبية مصدر متعة بالحياة، حسب المختصة في العلاج النفسي والكاتبة الفرنسية دومينيك كونتاردو، التي توضح أن الأعراب أو العزّاب يهتم بنفسه أكثر من المرتبطين وينصت لرغباته الشخصية ويلبّيها، ويجد الوقت للدخول في العديد من المجالات للاستمتاع بحياته ولتحقق فيها ذاته عبر الإنجازات والنجاحات الممكنة مثل العمل والفنون والعمل المدني والرياضة وغيرها.

وتعتبر المختصة في علم النفس أن العزّاب اليوم يفتنون أن الحياة السعيدة ممكنة بطريقة مختلفة ومن دون شريك، وهم يحملون صورة أكثر إيجابية من قبل على العزوبية قائلة "إنهم في طريقهم لتغيير الصورة النمطية عن العزوبية".

وتقول صابرين (37 سنة) في حديثها لـ"العرب"، "عندما أنظر لحياة صديقاتي المترؤجات أقول في قرارة نفسي ارتحت من معاناتهن"، وتؤكد أنها تنعم بحريتها المطلقة فعندما تريد الخروج حتى في وقت متأخر ليلا تفعل ذلك وتستمتع وتمرح مع أصدقائها، "إن كنت مترؤجة فساظل حتما حبيسة البيت". وترد "الزواج في نظري سجن مؤبد مع شخص في الغالب سيكون مملا، لذلك أستمع بوحدي أفضل لي".

القاعدة هي الزواج

يظل الزواج هو القاعدة أو الوضع الأمثل للشباب من وجهة نظر العائلة والمجتمع، وتسوق دومينيك في كتابها "الوحدة المختارة، والوحدة المفروضة" مثلا لإحدى الحالات التي عرفتها في عملها وهي فتاة عزباء وعمرها 37 سنة تعيش وحدها وتقول "خلال الاجتماعات العائلية أتصنع أنني غير مبالية بوضعي الاجتماعي".

وفي العمل سرعان ما أمحو من ذهني كل أنواع الملاحظات التي توجه إلي. في السابق، كانت التعليقات تستفزني وتثير غضبي. اليوم، أحاول التخلص من الأضواء التي يسلمها المحيطون بي علي، واعتبر أن المرأة التي يضعونها أمامي لا تعكس صورتني".

كثيرا ما يقول العزّاب والعازبات قبل عمر الثلاثين إنهم سيجدون النصف الآخر، معتبرين أن عشيرة الثلاثينات مرحلة مصيرية في إيجاد شريك الحياة. في حين أن من بلغوا الأربعينات أو الخمسينات والذين مروا بتجارب عاطفية فاشلة سرعان ما يطؤون الصفحة ويبحثون عن شريك جديد. وتفسر المختصة في علم الاجتماع فلورانس ميلوشون ذلك بأن "الضغوط عليهم تكون جد قوية، معتبرة أن طغيان الفردانية في العصر

يجعلهم يميلون إلى البحث عن علاقة عاطفية والتفكير في شريك دون السعي لتكوين أسرة".

وتقول سارة (37 سنة) موظفة تستعد للزواج في الأشهر القادمة "في البداية كنت خائفة من فكرة الزواج لأنه مسؤولية بكل ما يترتب عنها من تربية الأطفال والعناية بالمنزل وكل تفاصيل العائلة، فالأم أو الزوجة هي دائما المسؤولة الأولى مهما كان الزوج متعاوناً". وترد لـ"العرب"، "لكن بانطلاق التحضيرات للزفاف، بدأت فكري تتغير عن الزواج ومخاوفي تلاشت، أصبحت أرى الجانب الإيجابي، ولا أركز كثيرا في المخاوف والأفكار النمطية والقوالب الجاهزة. حاليا أصبحت أستمع باختيار ديكور منزلي المستقبل وأنسق كل التفاصيل مع خطيبي، وهذا أعطاني فكرة عن كيف ستكون حياتي مستقبلا معه؛ نتعاون في كل صغيرة وكبيرة وكل طرف يكفي أن يفهم التفاصيل التي تثير قلق الطرف الآخر وهكذا يكون الزواج أفضل من العزوبية، إذ هناك من يشاركني أوقاتي الممتعة وأوقات فراغي ورحلاتي وبرامج ترفيهي وأيضا لن أضطر للقيام بكل الواجبات وحدي".

انتفتت صورة الأعراب الحزين أو العانس غير المحظوظة وحلت محلها صورة الأعراب السعيد بحياته بمفرده وفكرة أن العزوبية مصدر متعة بالحياة، فالأعراب يهتم بنفسه وينصت لرغباته أكثر من المرتبطين

وتعتبر سارة أن العزوبية مقترنة في الأذهان بالسعادة لأن الزواج بالنسبة للكثير من الشباب مقترن بالعنوسة والروتين والرتابة وهذه وجهة نظر تبنيها التجارب التي يعيشها الآخرون أو يكونون شهودا عليها. وتسهّل التقنيات الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي ومواقع التعارف اليوم ربط العلاقات بالنسبة للشباب حول العالم، وبدأت تدخل في نمط الحياة العصرية للشباب العرب كوسيلة للتعارف وربط العلاقات العاطفية حتى من دون تحديد هدف الزواج كنهاية حتمية لعلاقتهم.

مصدر للسعادة

التكوين النفسي والوعي المجتمعي يدفعان دائما نحو الزواج كرمز لحياة اجتماعية ناجحة ووسيلة لتحقيق الرفاه في الحياة اليومية ولمواجهة تحدياتها وهو القالب الذي تمر عبره المخططات للمستقبل كتناء مسكن أو السفر أو حتى قضاء أيام من الراحة في أحد النزل حيث يبدو كل شيء مصمما للفتيات وليس للشخص الأعراب. ويقول المختص في التحليل النفسي جان ميشال هيرت "من الصعب أن يكون الشخص وحيدا، والكثير من الناس مقتنعون بذلك، ويبدو أن كثيرين يعتبرون أن المغامرة الأكبر والأهم في الحياة هي قصة الحب، وهي الأمر الأكثر إثارة للبهجة في حياتهم".

يربط الكثير من الشباب الزواج بمتعة مشاركة شخص آخر لأعباء الحياة ومسراتها في أجواء الحب والرومانسية، وترى الكثير من المترؤجات أن الزواج يشعرهن بأنهن حققن إنجازا مهما في حياتهن ويشعرهن بالراحة، ولكن في مرحلة معينة بعد الزواج تتساعل أغلبهن هل فعلا الزواج شرط من شروط السعادة؟

وبالنسبة لجان ميشال المختص النفسي فإن التطلعات من الحياة الزوجية ترجع إلى الطفولة، فإن كان الشاب عاش مع والدين غير متفاهمين فإنه سيبحث عن التعويض في علاقته العاطفية عندما يكبر، أو أنه سوف يبحث عن حياة زوجية مختلفة وأسعد من تلك التي عاشها مع والديه، ويضيف أنه حتى وإن مر الشاب، من عائلة كانت تسودها الخلافات الزوجية، بفترة عزوبية طويلة فإن الأولوية عنده تظل البحث عن شريك يتقدم معه ويعيد ترميم حياته.

ويقول باسم (34 سنة) موظف في شركة خاصة "لا أعتبر نفسي أعزبا إلا من الناحية القانونية وتحديدا في مضمون الحالة المدنية. صحيح، لا يستطيع المرء أن يعيش بلا شريك، لكن أن تكون أعزبا ليس معناه بلا شريك".

ويضيف لـ"العرب"، "إن اللجوء إلى العزوبية واعتبارها مصدرا للسعادة لا يعد في غالب الأحيان حقيقة ثابتة بل هو مسكن نفسي يجنح إليه الشاب لتعويض مركبات نقص لم تكن باختياره بل فرضتها أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية، ولم يعد بإمكان الشاب التفكير في الإقتران قانونيا إلا في سن متأخرة وذلك لعدم قدرته على أن يكون مسؤولا على فتح بيت يتطلب موارد مالية غير متوفرة لديه".

ويتابع "شخصيا اخترت الاستمتاع لوقت أطول بفترة العزوبية لأسباب تتعلق أساسا بتكيفية شخصيتي المزاجية التي تائب الحياة الزوجية الروتينية القائمة أساسا على وجوب الالتزام بعقد واجبات تجعل الحياة عابثا. لم تكن الرغبة لدى الفتيات بأن تحملن القاب أزواجهن لديها نفس القوة كما في الماضي، بل اليوم ترغب الفتيات في الانتساب لأنفسهن ولذواتهن وإنجازتهن.

وتقول خلود مترؤجة (31 سنة) "أفضل ما في الزواج هو الأبناء، لكنني تمنيت لو بقيت أنا وزوجي على علاقة عاطفية من دون زواج، لتبقى مشاعر الحب قوية بيننا، أشتقت إلى أيام العزوبية والحرية والخروج دون قيود"، وتخلص خلود "المرأة يمكن أن تغير حبيبها عندما تمل لكن لا يمكنها أن تغير زوجها بنفس السهولة، لكن هذا لا يعني



فسحة دون قيود

أن الزواج سيء فهو يشعر بالاستقرار ويضع لك أهدافا جديدة في الحياة". ويلاحظ مختصون نفسيون أن عدد الأشخاص الذين يتفقون مع فكرة أن يكونوا مثلما يرون أنفسهم ومثلما يرغبون وأن يحدوا وحدهم أذواقهم وخياراتهم بانفسهم ودون اعتبار الآخر، يزيد يوما عن يوم. وفي هذا المستوى ظهرت فكرة أن يعيش الفرد بمستوى سعيا بها، لتكون فرصة لتحقيق الأهداف الشخصية وبناء الذات والتواجد وجهها لوجه مع النفس، ولعل هذه الطريقة تجعل الأعراب يفهم نفسه أكثر وقد تسهّل عليه في ما بعد إيجاد حب الحياة.

فترة انتقالية

يتعامل بعض الشباب مع العزوبية على أنها خيار مصيري لبقيّة الحياة، وبينون حياتهم على هذا المبدأ ويستبعدون من أمامهم احتمالات الزواج.

وتقول منية موظفة (29 سنة) "نعم العزوبية بالنسبة لي مصدر للسعادة لأنها تعزز الإحساس بالاستقلالية وتجعل الشخص يفكر ويركز فقط على النجاح في مسيرته وحياته في مجالات متنوعة منها العمل والرياضة والسفر ولا يهتم فقط بمؤسسة الزواج".

وتشير منية لـ"العرب" إلى أن هناك خشية من التجربة خاصة عندما تقترب من تجارب المحيطين بك التي تجد في أغلبها أحد الطرفين يتنمر من صعوبات الحياة المشتركة، كما يتدخل عامل السن في قرار الزواج وكلما تقدمنا أكثر في العمر يكون القرار عقلانيا أكثر منه عاطفيا. ويرجع الشعور بالسعادة في فترة العزوبية إلى أن الزواج لم يعد هاجسا كما في السابق، بل على العكس، صار الثاني في القرار أفضل حتى يكون الاختيار صائبا، لذلك يشعر العزّاب أو العزّبات بالراحة".

يعتبر الكثير من الشبان العزوبية فترة انتقالية خاصة أولئك الذين مروا بتجارب فاشلة أو بعد الطلاق. ويرى مختصون في علم النفس أن هؤلاء يحتاجون أحيانا إلى متابعة نفسية ليتجاوزوا الاضطرابات النفسية بعد العودة إلى العزوبية من جديد. هؤلاء يكونون في حالة إحباط ناجم عن الفشل ولم يتضح موقفهم من العزوبية بعد، فمنهم من يتوعد أنه سوف يختار العزوبية مدى الحياة ومنهم من يتعامل مع العزوبية كفترة انتقالية. لكن هناك منهم من يرى أن نموذج الأعراب مريح بالنسبة إليه ويلائم شخصيته فيندفع نحو مواصلة حياته بنفس المنوال، وقد يتبنى بسهولة الترويج لصورة العزوبية كمصدر للتحرر والسعادة.